

نقد تجربة الحداثة في الفلسفة الألمانية هيدجر أنموذجا

Critic of the Modernity Experience in German Philosophy: A Case Study of Heidegger.

د. سببية سوهيلة SABIA Souhila

مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC الجزائر

sabiaphilos@yahoo.fr

DOI: 10.46315/1714-014-002-012

الإرسال: 2025/01/30 القبول: 2025/02/28 النشر: 2025/06/16

**

ملخص:

انطلق المشروع الهيدجري في مسالة تجربة الحداثة الفلسفية في رحاب الفلسفة الألمانية، من همّ الفكري الذي تقاسمه هيدجر مع بني عصره حول ضرورة تجديد مضامين البحث الفلسفي الألماني من تداعيات الإرث الميتافيزيقي القادم من الحقبة الإغريقية. وفقا لهذا تبرز المرجعية الفلسفية التي تؤطر التجربة الهيدجرية في قراءتها لمشروع الحداثة ضمن السجال المعرفي الذي خاضه هايدجر مع أهم مفكرها حيث فتح هيدجر ورشة بحث ناقش بموجها حقبتين فلسفيتين رسخت لحداثة ميتافيزيقية بامتياز تمثلتا في البدء اليوناني وسؤال الكينونة الأنطولوجي ومرحلة استئناف هذا البدء مرة أخرى مع ميتافيزيقا الذاتية مع نيتشه وجيل المحدثين كان هدف هيدجر من خلال هذه الجولة في تاريخ الفلسفة هو محاولة تشخيص رهن الحداثة باستشراف مستقبل جديد للفكر والفلسفة بالكشف عن المطبات التي وقعت فيها الميتافيزيقا اليونانية بحجها لمعنى الكينونة عبر تاريخ الفلسفة مند لحظاتها الأولى إلى غاية عصر هيدجر الأمر الذي نتج عنه مفارقات أنطولوجية وصل صداها إلى خطاب الحداثة. وهذا ما ستناقشه هذه الورقة البحثية.

كلمات مفتاحية: تجربة الحداثة؛ سؤال الكينونة؛ البدء الأول؛ التقنية؛ ميتافيزيقا الذاتية.

Abstract :

The Heideggerian endeavor represents a profound philosophical investigation into the experience of modernity within the context of German philosophy. This inquiry was motivated by Heidegger's shared intellectual concerns with his contemporaries regarding the imperative to revitalize the substance of German philosophical inquiry, particularly in light of the metaphysical heritage bequeathed by the Greek tradition. Within this framework, the philosophical structure of the Heideggerian experience is elucidated through its engagement with the modernity project, as reflected in the intellectual exchanges Heidegger had with leading thinkers of his time. He initiated a research forum to examine two pivotal philosophical epochs that established a metaphysical modernity: the Greek origins and the ontological inquiry into being, alongside its resurgence as articulated by Nietzsche and the modern intellectual milieu. Through this historical examination of philosophy, Heidegger aimed to assess the contemporary condition of modernity, revealing the shortcomings of Greek metaphysics in obscuring the essence of being throughout the history of philosophy, which resulted in ontological dilemmas resonating within modern discourse.

Keywords: The experience of modernity; The question of being, The first beginning; Technology; Metaphysics of subjectivity.

**

*- مقدمة

تبلورت اهتمامات هايدجر في القرن العشرين بمعاودة النهوض من جديد بمجد الفلسفة وتجديد مضامينها، فعبر عصر القرن العشرين عن هذه الحماسة الفلسفية وفق ما طرحه الحداثة من رهانات تنادي بضرورة ترويض السؤال الفلسفي وامتحانه خارج الميتافيزيقا الغربية لذلك نجد الجوانب المتعددة في أعمال هايدجر تعبر عن الطرق التي سلكها هذا الفيلسوف وليس الطريق، ففكر هايدجر يمثل الدروب **Les chemins**، وقد اعتمد هذه التسمية في كثير من أعماله الفلسفية محاولا فيها أن يمتحن الفلسفة عبر طرقها ولعل الميتافيزيقا بجميع أشكالها الحديثة منها والتقليدية هي إحدى الدروب التي خص لها هايدجر دراسة تاريخية نقدية في حوارها مع تاريخها الحافل بمطبات النسيان الأنطولوجي. فلم ينفك هايدجر في التعبير في كل المناسبات الفكرية الفلسفية عن هدفه الوحيد بإعادة طرح مسألة معنى الوجود، المتواري في تاريخ التقليد الغربي محاولة منه للكشف عنه، فقد أدرك هايدجر بضرورة مناقشة المتن الميتافيزيقي، من خلال التواصل مع الإغريق الأوائل المدشنين للتفكير الفلسفي ومساءلتهم أنطولوجيا من أجل تهيئة الظروف الفلسفية للتفكير خارج هذا البدء فهل وطرح الرهانات الجديدة لميتافيزيقا في عصره.

إذن تندرج القراءة الهايدجرية لسؤال الكينونة في هذا البحث ضمن سياق النقد الجذري لمشروع الحداثة في مدونة هيدجر وقد حاولنا في ورقتنا هاته إبراز ذلك السجال النقدي الذي باشره هايدجر مع تاريخ الفلسفة لتشخيص الأماكن التي تسكنها الميتافيزيقا منذ بدئها إلى غاية عصره، فهايدجر يقرأ الدرس التاريخي لسؤال الكينونة ضمن براديجم الذات وفكر الحداثة اعتمادا على أدوات تفكير تقويضية نقدية، وعليه تتأسس المسألة الهايدجرية بالنقاش مع تاريخ الكينونة وتداعياتها على رهانات الحداثة الفلسفية انطلاقا من هنا نطرح التساؤل الذي سنناقشه بالعرض والتحليل وفق مقارنة نقدية لمشروع الحداثة في مضامين هذا المقال وهو كالتالي:

كيف تعاطى هايدجر مع درب الحداثة: وماهي المخلفات التي أفرزتها الميتافيزيقا الكلاسيكية على مشروع الحداثة في سياق الفلسفة الألمانية كيف تعامل هايدجر مع ورثة الميتافيزيقا.

الحداثة وسؤال الكينونة: قراءة في البدء الأول

يعبر سؤال الكينونة الهايدجري **Question de l'être** عن المنعطف الأنطولوجي في محاولة منه لتسريح تاريخ الأنطولوجيا من الهم الميتافيزيقي وتحليل مستويات الوجود حيث يمثل هذا المشروع الاستفاقة الفلسفية لمفهوم التجربة الوجودية في أبعادها المتشظية عبر التاريخ الأنطوثيولوجي للفلسفة ولحظاته من القدامة، ثم الحداثة وصولا إلى المستقبل وبالتالي فإن مناقشة مشروع الحداثة الغربي يقتضي إعادة إحياء سؤال الوجود، الذي يمثل جوهر الاشتغال الفلسفي الهايدجري حيث موقع هايدجر هذا الأخير في رحاب الفلسفة الغربية برمتها من أجل استحضار هذا السؤال المنسي في طبقات الميتافيزيقا بجّل صورها عبر التاريخ الغربي بإعادة تشغيل الأولى

بإعادة تشغيل المناطق التي تنشط فيها الميتافيزيقا اليونانية، بمواجهة فكرية نقدية مع البداية الأولى للفكر الفلسفي وهو السؤال الذي غير وجهة الفلسفة في التفكير الجدي في إمكانات الوجود حيث ترتب عن هذه المسألة أو إحياء هذا السؤال الأنطولوجي الكشف عن محدودية التجربة التي قدمها الفكر اليوناني. من خلال الحفر في ذكريات الألبوم الميتافيزيقي والرجوع إلى الوراء بالنقاش مع مديري الفلسفة الأولى الإغريق فلقد شكلت اللحظة الإغريقية إذن المحطة الأولى في قراءة هايدجر لتاريخ الفلسفة ليس بغرض التأريخ للفلسفة وإنما للنش عن مسألة الوجود التي مثلت الشغل الشاغل لهيدجر وكذا "الإغريق الذين كانوا المهندسين الأوائل للكينونة" (ERYVK,R,2011, 14) وبالتالي فقد استقبل هايدجر الحضور اليوناني في فلسفته بكل حفاوة معتبرا إياهم الفلاسفة المرجعيين في التأسيس لتقاليد الفلسفة ومباحثها لكن الغرض من هذا التفاعل الذي وقع بين هايدجر واليونان يعود إلى الهم الأكبر الذي شغل الأنطولوجيا الهيدجرية المتمثلة في تجربة الكينونة، فكان لهذا التعاطي الكثيف مبرر نفعي ونقدي وتقويض لما قدمه هؤلاء الفلاسفة اليونان حول هندسة الوجود إنما كان مسألة نقدية تميلها ظروف تاريخية وفكرية تخص وضعية ومآل الكينونة في زمن الحداثة فهيدجر من خلال هذه التجربة التي عرض بموجبها مجمل المفاهيم التقليدية بالشرح والتحليل هو بمثابة خيط هادي لتبيان النقائص الأنطولوجية، لذلك نجد المسعى الهيدجري يكمن في تجديد مهمة الفلسفة من بدايتها؛ أي استذكار الفراغات التي تركها الميتافيزيقا لأجل استشراق مستقبل آخر للفلسفة أو التهيؤ لبدء جديد.

وقد لعب هايدجر في محاولة استذكار هذا السؤال سؤال الكينونة المنسي على حبلين في استنطاقه التاريخي لهذا السؤال هما: البداية والنهاية؛ البداية التي رسمت وجهة الفلسفة وحددت قدر الكينونة إنها الحقبة اليونانية ممثلة بميتافيزيقا الكلاسيكية سقراط أفلاطون، أرسطو والنهاية التي كانت نتيجة حتمية مدة اشتغال فلسفي دام قرونا حتى عصر الحداثة واكتمل مع آخر الميتافيزيقيين، النهاية لبدء آخر من الميتافيزيقا إنها ميتافيزيقا الذاتية (نيتشه). إذن الهدف هنا هو الكشف عن اللامفكر فيه الذي ظل مسكوتا عنه منذ أفلاطون وصولا إلى نيتشه.

يحدد هايدجر هذا البدء الميتافيزيقي مع سقراط "Socrate" وأفلاطون "Platon" فمع الخطاب السقراطي انطلق منهج التهمك والتوليد، من هنا حوّل سقراط الفيلسوف الفلسفة إجابة عن الماهية والجوهر، حينما طرح، ما المعرفة؟، ما الجمال...؟

إذن، أصبح قدر الفلسفة حسب هايدجر إجابة عن سؤال عن "الما"، لذلك أصبحت الطريقة التي نسأل بها عن الفلسفة يونانية إلى الوقت الحاضر، ومن ثمة فإن طرح سؤال الماهية هو

المطلب الذي تجلى عبر العصور المختلفة للفلسفة بتصورات مختلفة فالجوهر الأرسطي والمثال الأفلاطوني أصبح المطلق الهيجلي، والتعالى الكانطي، والذاتية الهوسرلية، والقوة النتشوية... الخ الأمر الذي يبرر الرجوع الهايدجري إلى التجربة اليونانية كونها رسخت للميتافيزيقا عبر مشاريع الحدائثة لذلك كانت مهمة الفلسفة في تلك الحقبة متمثلة في استقصاء كينونة الكائن لا النظر في الكينونة؛ لأن الطريقة الإغريقية في التساؤل كانت تسعى دائما إلى تقديم مفاهيم ثابتة وإن كان سؤال الأسئلة عندهم "ما الكائن" فإنهم أغفلوا السؤال الأساس وهو الكينونة، حيث افتتح هيدجر كتابه العمدة " الكينونة والزمان " " إن مسألة الكينونة أصبحت اليوم في طي النسيان" (هيدجر، ما، 2012، 49).

لقد عاين هايدجر هذا النسيان ضمن المأثور الفلسفي الكامن في المصطلحات اليونانية ذات الصلة بالأنطولوجيا، قياسا على ذلك فإن مجمل المفاهيم التي عرفتها الميتافيزيقيا أو الأنطولوجيا الكلاسيكية سجت التجربة الأنطولوجي للكينونة في نسق أحادي مغلق (الألثيا الحقيقة السقراطية فيلوسوفيا السوفون الماهية المثل الأفلاطونية المطلق الأرسطي) إذ يعقّب هايدجر على جميع التعريفات اليونانية من المرحلة السقراطية، الأفلاطونية إلى غاية الحقبة الأرسطية في محاولة منه في استعادة السؤال الفلسفي للكينونة من معنى المطلق والثابت إلى معنى الإمكان والتعدد، انطلاقا من هنا يباشر هيدجر قراءته النقدية بتقويض الميتافيزيقا اليونانية والكشف عن مزالقتها والدعوة إلى ضرورة الإنصات إلى نداء الكينونة وانتشال هذا السؤال المنسي الذي غيَّبه الفيلسوف الميتافيزيقي وأدخل معه الفكر الغربي برمته في نفق النسيان.

جاء التقويض كاستراتيجية فلسفية، تدعو إلى إجراء تفكيك نقدي للمفاهيم السارية في تاريخ الفلسفة الغربية جراء المد الميتافيزيقي؛ حيث يسمح التقويض بالمعنى الهايدجري بالعودة إلى مصادر الفلسفة الإغريقية، وتدمير الأنطولوجيا الكلاسيكية أو الميتافيزيقا اليونانية الكامنة في التاريخ الغربي، بفتح نقاش جاد وعميق مع الشخصيات الفلسفية أفلاطون، سقراط، أرسطو التي عطلت معنى الكينونة وسجنته في نسق أحادي مطلق وثابت. وفي خضم هذه الأحداث الفلسفية ابتكر هايدجر مفهوم التقويض destruction لاستحضار سؤال الكينونة المنسي عبر قدرها التاريخي فبدأت المهمة الفلسفية لاستجلاب معاني الكينونة بالتقويض تم الفينومينولوجيا وصولا إلى الهرمينوطيقا فقد جرب هايدجر في كل فترة فلسفية هذه الوسائل الفلسفية في إطار تحقيق المشروع الفلسفي لأنطولوجيا الكينونة وبالتالي فإن التقويض الهايدجري خدم الفلسفة في قراءته للتراث الإغريقي إذ حمل في طياته معنى إيجابيا تجاوزيا لا هدميا و " التقويض لا يعني التحطيم والهدم، وإنما التفكيك والتنحية؛ أي معاودة النظر في المفاهيم التقليدية الموروثة ونقدها، كون هذه المفاهيم لم تفصح عن معنى الكينونة وإنما غطتها" (هيدجر، ما، 2012، 80).

ساهم هذا المفهوم في تنحية القرارات الفلسفية التاريخية جانبا أن نقوض تاريخ الأنطولوجيا عند هايدجر، يعني أن نفتح آذاننا اتجاه ما حدث بالتراث حيث نستطيع تحصيل الهفوات والأخطاء الميتافيزيقية انطلاقا مما تقدم فقد حرص هايدجر على تفعيل فكر الإمكان كونه يوفر للتجربة الأنطولوجية الممكنات في تسريح الوجود عبر إدراك معنى الاختلاف الأنطولوجي la différence ontologique وهي الإستراتيجية الجديدة التي سنها هايدجر لمجاوزة الميتافيزيقا، هذا الاختلاف يحسن الإنصات إلى نداء الوجود ويحرره من النسيان الميتافيزيقي.

يؤكد هايدجر على ضرورة مجاوزة الميتافيزيقا لما رسخته من مفارقات أنطولوجية، فالاستدكار بأن الميتافيزيقا من حيث هي فترة ضرورية لتاريخ الوجود الذي يسمح لنا بالتفكير في الطريقة الذي يحدد بها الوجود حقيقته، فالمشروع الهايدجري في قراءته النقدية لا يستأصل شجرة الفلسفة وإنما يقلب فهذا الأساس حيث الميتافيزيقا تضل مادة الفلسفة (2002، 76) ومن ثم فإن الميتافيزيقا بهذه الصورة تتمثل الموجود في وجوده، وبذلك فهي تفكر في وجود الموجود، إلا أنها لا تفكر في اختلاف الوجود عن الموجود.

إذن، النتيجة هي إغفال الاختلاف الأنطولوجي بين الموجود والوجود، ولعلها من أكبر المفارقات التي وضعناها فيها الميتافيزيقا في خطابها منذ أن حددها أرسطو Aristote، حيث حدّدت الميتافيزيقا نفسها كأنطولوجيا أو كعلم بالوجود من حيث هو موجود. وهذه الشاكلة "الميتافيزيقا فكرت في الموجود كموجود والأساس هنا يظهر في حالة الحضور" (Heidegge, m, 1966, 70).

إن المنسي حسب الاشتغال الهايدجري زيادة على سؤال الكينونة، هو الاختلاف أيضا وقد عمل هايدجر جاهدا على إبراز هذا الانفصال الأصيل للأنطولوجيا الفلسفية فقد حمل هايدجر الفلسفة اليونانية الخطأ في إغفالها لهذا الاختلاف الذي انعكست نتائجه على براديفم الثقافة الغربية أو فكر الحدائة بإنتاجه لميتافيزيقا الذاتية. فبحث المعجمية الهايدجرية عن وسيلة أخرى لفهم مستويات الوجود وهذا الفهم لا يتحقق إلا بإدراك الفرق الأنطولوجي بين الوجود بدلالته للموجود ومعنى الوجود في حد ذاته فالإمكانات التي تتحدث عنها التجربة الهايدجرية هي درب من الحضور ودرب من الخفاء، وبالتالي تتحقق الكينونة يتم بتظافر الجهود التأويلية في التصريح بهذه القضية. وقد بلور في هذا السياق مفهوم الفكر الشعاعي يقصد بها نموذج الكثافة والانفتاح الكينونة على ممكناتها.

فالخطاب الميتافيزيقا يتحرك من بدايته إلى نهايته في الخلط بين الوجود والموجود لذلك فإن إحياء التساؤل الأصيل والأساسي حول الكينونة لا يمكن أن يكون إلا ثمرة لتقويض وهدم الارث الميتافيزيقي بالحفر في ثنائياته لغرض التفكيك هذه البنى الكلاسيكية وتفحصها.

وعلى هذه الشاكلة ارتبط التقويض الأنطولوجي للميتافيزيقا الكلاسيكية وإدراك معنى الاختلاف مرهون بإعادة تجديد البنيان الفلسفي خارج البدء الأول والانفتاح على الكينونة بكل إمكاناتها الأنطولوجية المتمثلة في الحضور والغياب، التحجب والانكشاف من أجل تفكيك الثنائيات التقليدية التي انعكست تابعاتها في العقل الحديث (التقنية، العدمية، الذاتية) فقد حذر هايدجر من الانزلاقات الميتافيزيقية والفهم الكلاسيكي الذي طرأ على سؤال الكينونة حيث لحقت تبعاته الأنطولوجية إلى غاية واجهة الحداثة، بما هي نقد للميتافيزيقا الذاتية لذلك نجد هايدجر يفتح هذا السؤال من جديد في صرح الحداثة ليكسبه دلالات التكثيف الأنطولوجي. " يطرح هايدجر البنية الأنطولوجية للميتافيزيقا في الاختلاف الأنطولوجي بين الوجود والموجود " (Alain,B, 1989,70)

كما تقصى البحث أيضا عن هذا المعنى المخفي في مضامين التجارب الفلسفية الحديثة لفلاسفة الألمان، فإذا نظرنا إلى مشروع الفلسفة الألمانية عبر مختلف نسخها نجد كل من الفينومينولوجيا الهوسرلية، الجينيالوجيا النيتشوية، الهرمينوطيقا الغادمية نجدها تدعو في المجمل إلى تجاوز الخطاب الميتافيزيقي بإرثه التقليدي، لكنها حسب هايدجر لم تخرج عن حدود السياج الذي أحاطته الفضاءات الميتافيزيقية بطرحها لنفس السؤال الأنطولوجي الأول بكيفيات جديدة، ونستحضر هنا مقاله هايدجر " إننا نتعلم منذ الآن من جملة أرسطو حول السؤال الذي يقوم دائما أمام الفكر، ما هو الموجود في وجوده؟ إنَّ الجهود التي بذلت للإجابة على هذا السؤال تشكل الخيط الأساسي لتاريخ الفلسفة " (heidegger, m, 1966, 205) لذلك يمكن القول إن هايدجر انكب طيلة مسيرته الفلسفية بتأهيل التجربة الأنطولوجية للكينونة مروضاً بحثه النقدي نحو الكشف عن سؤال الكينونة، فلم يتوقف هايدجر في التوغل إلى أعماق الفكر الفلسفي فقد جاب أدغال الفلسفة وامتنح دروبها بالاشتغال على ممكنات الميتافيزيقا اليونانية بتقويض الثنائيات التي خلفتها هذه الأخيرة مناشدا بضرورة قراءة التراث الغربي ومساءلته بنقد العقل الميتافيزيقي المتجذر في الفكر الفلسفي الحداثي.

إذن وعليه فالمقتضى النقدي الذي أجراه هايدجر على تاريخ الفلسفة في محاولة منه إلى تجديدها جعله يناقش وضعية الفلسفة في زمن النهايات الذي على صيته في زمن الحداثة حيث كان المحيط الفلسفي الألماني سابقا في رصد المعطيات الفلسفية والتاريخية التي لحقت إلى زمن الحداثة، فكثرت الحديث عن نهاية الفلسفة ومهمة الفكر بالمعنى الهايدجري، نهاية التاريخ بالمفهوم الهيجلي، العدمية وموت الإله حسب التجربة النيتشوية، الاغتراب والتقنية مع مدرسة فرانكفورت النقدية الأمر الذي جعل هايدجر يواصل حوارها باكتمال البدء الأول أي الدرب الذي قدمته الفلسفة اليونانية حسب المعطيات الهايدجرية استنفذ إمكاناته المعرفية. وانطلاق بدء

آخر سيجدد فيه هيدجر موعدا تاريخيا آخر مع شخصيات فلسفية ساهمت هي بدورها في الترسخ لميتافيزيقا جديدة وهو ما سنناقشه في العنصر التالي:

2 الحداثة وميتافيزيقا الذاتية : نيتشه

لقد تجمعت في فكر نيتشه كل دواعي الفكر ومواضيعه ووفقا لهذا يبقى الحوار مع هذه الشخصية أهم اللحظات النهائية للميتافيزيقا والمنعرج الحاسم في اكتمالها وفي نفس الوقت تفكير جدّي في حقيقة الفكر الغربي اتجاه مسألة الحداثة "إنّ الحوار مع نيتشه نقلة إلى بدء آخر للفكر إنه حوار عبور" (Heidegger, m, 1966, 49).

لقد نقب هايدجر مطولا في ورشات نيتشه بغرض تقديم تقييم نقدي للميتافيزيقا الغربية في بدءها الثاني، تحت عنوان ميتافيزيقا الذاتية إذ انخرط المشروع النيتشوي حسب الاشتغال الهايدجري في طرفي سؤال البداية والنهاية الذي شغل اهتمام هايدجر في مساءلته للإرث الميتافيزيقي الكامن في الفلسفة الغربية منذ بدءها مع التجربة اليونانية وصولا إلى النسخة الحديثة التي تعبر عن اكتمال الميتافيزيقا في طورها التقني. إذ مثل نيتشه مع هايدجر الخط النهائي لاكتمال الفلاسفة الميتافيزيقيين إذ يقول هايدجر في هذا السياق " نيتشه هو آخر ميتافيزيقي الغرب" (Heidegger, m, 1971). لقد خصص هايدجر ثلاثة أعمال بالغة الأهمية للولوج إلى عالم نيتشه الشدري فنجده قدم سلسلة محاضرات ودروس بأشراها في سنة الثلاثينات وقد نشرهما في مجلدين هامين هما: Nietzsche 1 ET NIETZSCHE 2 نيتشه إلى ذلك فصل عن " موت الاله " و"العدمية" في كتابه *Chemin qui' ne mènent nulle part* كما ننوه أن هايدجر تحدث عن نيتشه في الكثير من المواطن في أعماله بصورة مقتضبة وصمت عن ذكرها لهذا تبقى هذه الأعمال المذكورة، المحطات الأساسية لضيافة هايدجر لنيتشه في اشتغالاته الفلسفية، استنادا لهذا يبقى "نيتشه" اللحظة التاريخية التي حسمت مسألة تجاوز الميتافيزيقا، وعليه فالتجربة الهايدجرية مع هذا الفيلسوف فريدة من نوعها، إلى درجة يمكن القول فيها إنه شكل المرحلة الثانية والأهم في حياته الفكرية 1955 1936 وهذا يبرز تطور الحس الإشكالي لفكر هايدجر باستعادة التجربة النيتشوية والاعتراف بها في صورة مبتكرة فكانت الكلمات الأساسية لمشروع نيتشه إرادة القوة، العدمية، عودة الأبدى، الإنسان الأعلى، تراتبية قلب القيم، العدل هي الورشة البحثية التي ناقشها هايدجر بالتقييم والنقد حيث خلفت القراءة الهايدجرية لنيتشه تبعات تأويلية كبيرة خارج الفلسفة الألمانية بالتحديد على مستوى الفلسفة الفرنسية.

لقد امتحن هايدجر الفلسفة النيتشوية في عدة دروب نقدية وأهمها دربان: درب الانخراط في الفلسفة التقليدية ودرب تجاوز إرث هذه الفلسفة، بإجراء حوار نقدي وتحليل تقويزي للمفاهيم

الرئيسية التي رسمت فلسفة نيتشه ومعادلته الجمالية التي هبأت لفكر مختلف " كون أن ما من مفكر آخر أقام حوارا أكثر من شيق ومفارق مع سالفه مثل ذلك الحوار الذي أقامه هيدجر مع نيتشه" (michel, h, 1994 , 190) لرصد المنعطف الثاني الذي هيا لميتافيزيقا الحدائفة في ثوبها الجديد من هنا أدرك هيدجر ضرورة مساءلة المشروع النيتشوي من خلال تقييم ومناقشة المفاهيم الأساسية كما ذكرنا سابقا.

تمثل إرادة الاقتدار نقطة التحول الجدي في التأويل الهايدجري لينتشه، فنيته حسب هيدجر يرادف بين لفظي "العالم" و" الوجود" بمعنى أنه يقصد بالعالم الموجود في كليته بل إنه قد يجعله في الغالب مرادفا للحياة ذلك يعني أولا أن الموجود في كليته حياة وثانيا بأن ماهية الحياة هي إرادة الاقتدار إذن ذلك يحيلنا إلى إقرار نيتشه بأن الحياة هي إرادة اقتدار وفقا لهذا فإن هيدجر يجمع في تحليله لشذرات نيتشه الميتافيزيقية بين كل من إرادة القوة ومفهوم القيمة ليتوصل إلى أن مفهوم الاقتدار بالمعنى النيتشوي يمثل قيمة القيم ويشرع لها، إذ اقترن سؤال الأساس عن الكينونة عبر تأويل الوجود في حضوره أي الموجود أو الكائن بما هو كائن، فنجد هايدجر يتناول هذا السياق في كتابه نيتشه الثاني إرادة الاقتدار هي خاصية الموجود الأساسية باعتباره كائنا ومادامت كذلك لا يمكن أن تفهم إلا ميتافيزيقيا. بهذا يلحق هايدجر مفهوم إرادة الاقتدار لدى نيتشه بركب الفلسفة الإغريقية كونها عمقت من جديد مسألة نسيان الكينونة ليمثل نيتشه حسب تقدير هايدجر الحقبة الثانية لاكتمال مسار الميتافيزيقا في صورتها الحديثة إذ يدخل السجال الذي أجراه هايدجر مع نيتشه في باب المنعطف التغيير وجهة الفلسفة بمساءلة نقدية لمجمل المفاهيم التي رسخت للإرث الميتافيزيقي في زمن الحدائفة للإجابة عن أكبر الأسئلة الأنطولوجية المتعلقة بالكينونة بالإجابة النيتشوية في حديثها عن الكائن لم تغير شيئا لأنها لم تطرح فكرة الكينونة ذاتها" إن نيتشه بما هو مفكر إرادة القوة لهو آخر ميتافيزيقي" (heidegger, m, 1971, 374).

نستنتج مما ذكر أنفا أن هيدجر انتبه فعلا إلى الأثر النيتشوي في مساءلة أم المسائل الفلسفية، التي أرققت فكر هايدجر مطولا في تجربته الفلسفية، إنها قضية إغفال السؤال الأنطولوجي وإمكاناته الفلسفية المنفتحة على دروب الوجود لهذا نجده يدرج نيتشه داخل النسق الميتافيزيقي كونه ساهم في تعميق هذا النسيان.

يواصل هيدجر ورشته النقدية ليصل إلى مفهوم آخر كامن في الخطاب الحدائي العدمية الذي مثل بدوره الوجه الجديد للفلسفة المعاصرة لاسيما في مشاريع الفلسفة الألمانية التي تناولت هذا المفهوم دينيا وفلسفيا، فنجد هايدجر يتناول معنى العدمية في سياقين الأول من جهة ارتباطها بكلمات نيتشه الأساسية وثانيا فنناقشها من جهة كونها محددات تاريخيا للإنسان المعاصر، حيث

عبرت العدمية بالمفهوم الهايدجري عن الوضعية الميتافيزيقية لتاريخ الفلسفة الغربية التي فقدت من خلالها الإنسان القيم والمبادئ.

بهذا الشكل فالعدمية هي الصيغة التي رسمت المشروع الغربي من أفلاطون إلى نيتشه حيث تكمن جراءة هايدجر في محاكمة مجمل التجارب الفلسفية التي مرت في التاريخ الغربي خاصة مع نيتشه الذي مثل النفس الأخير للعدمية " فلئن علم نيتشه عمق العدمية في عهد الحدائث لاقتراح لها دواء " (محمد، ش، 2008، 452)

وبناء على ما ذكر سابقا فقد عكست العدمية الغربية، القدر الأنطولوجي للفلسفة عند هايدجر وموت الإله جار قدر هذا الخطاب الفلسفي. اللحظة النيتشوية التي أعلنت " موت الإله " في نقد جذري للعالم المثالي بصورته الأفلاطونية والمؤسسة الدينية الممثلة في الإله المسيحي. وقد باشر هايدجر في تحليل المقصد النيتشوي من وراء موت الإله باعتباره العلامة الفاعلة في ميلاد العدمية الأوروبية التي هي أخرى عمقت مسألة نسيان الوجود في تاريخها، وبالتالي إن المسألة التي يجربها هايدجر على تاريخ العدم تتجاوز المعنى النيتشوي الذي جذر موت الإله ببوارد نفي الإله المسيحي وتعاليمه، يبدو أن قدوم العدمية جاءت لتحطيم هذه القيم المثلى التي تصورتها المؤسسة الدينية وأحدث ثورة بقلب شامل للقيم وتحوير كلي للعالم الأفلاطوني، هذه الإرادة العدمية كانت دوما أساس الميتافيزيقا في الفكرة الأفلاطونية المسيحية عن إنكار العالم لصالح الفكرة، العقل، الروح، لقد حدث تبادل خفي مع الأفلاطونية المسيحية تم فيه إفراغ الإرادة من هدفها (اسماعيل، م، 2012، 159). يترتب عن كلمة موت الإله أن العالم الفوق حسي هو دون أية قدرة فعلية لإنتاج الحياة لمعنى نيتشه أن الميتافيزيقا السارية في الفلسفة الغربية مفهومة بنزعة أفلاطونية تسير نحو نهايتها لذلك يتصور نيتشه فلسفته كحركة معدية للميتافيزيقا الأفلاطونية لكن هايدجر يعتبر هذا القلب ما هو إلا تكرار للحلقة الميتافيزيقية في مشروع نيتشه وهذه الصورة فإنه يصنع ميتافيزيقا جديدة مبنية على الذاتية.

وبالتالي جسدت الحدائث الفلسفية مجموع مظاهر الفكر الفلسفي المعاصر في تجاوز الميتافيزيقا حيث أصبحت الذات الوجه الجديد للميتافيزيقا في فكر الحدائث فسيطرت التقنية والعلم على كل أشكال التفكير، حتى أضحي العلم لا يفكر في البيت الأنطولوجي للكينونة، إذ عبّر نيتشه حسب تقدير هايدجر عن مرحلة انتقالية في استئناف التفكير الغربي للميتافيزيقا بفعل العجز الذي أصاب الفلسفة في حدائثها ومع فلاسفتها الذين أعادوا إحياء البدء الأول من جديد وفق توترات الإنسان المبنية على العلم التقنية. إنها إذن اللحظة الثانية في مسار ميتافيزيقا نحو التقنية والعدمية كلغة جديدة في تشريد الوجود والفكر من المعاني والقيّم.

3 الحداثة مقابل التقنية:

ترتبط ميتافيزيقا الذاتية في عمقها الفلسفي بتاريخ الأفول بهذا فقد حملت ميتافيزيقا الذاتية تمثالات فلاسفة الألمان حول التنبيه إلى القدر التاريخي الذي سيوجه الفلسفة الغربية من جديد نحو الدخول في نفق آخر من الميتافيزيقا مرسومه الأول هو التقنية والذات، فالتقنية من الرهانات التي أفرزتها الحداثة الفلسفية وقد خاض هايدجر مع هذه المسألة حواراً مطوّلاً كونها نتاج آخر لتداعيات الميتافيزيقا ببنية عصرية جديدة فكثيراً ما نناق بالاعتقاد أن عصرنا الحالي قد ترك الميتافيزيقا وراءه وأن ما يحدّد حياتنا اليوم هو الأسلوب التقني في تأويل الكائن والتعامل معه إلا أن هذا الأخير هو الشكل الذي تتخذه الميتافيزيقا اليوم (هيدجر، ما، 2003، 112) في كون التقنية أصبحت الآن تحدد علاقة الإنسان بالعالم ونحن نعلم أنّ الميتافيزيقا منذ فجر بدايتها طرحت سؤال الكائن، وبالتالي الميتافيزيقا قد تعود منتحلة رؤياً أخرى وانطلاقاً من هنا يواصل هايدجر البحث عن الأماكن التي لا تزال الميتافيزيقا تسكنها، حيث يبيّن في عدة مناسبات أن الفلسفة الحديثة هي تعبير عن ميتافيزيقا الذاتية *LA Métaphysique de sujet*، أي السؤال الموجّه فيما يبقى عن كون الكائن على الرغم من أنها لم تطرحه بكيفية مباشرة، حيث نظرية المعرفة ليست سوى الميتافيزيقا الملائمة للعصر الحديث، فسؤال إمكانية المعرفة هو نفسه سؤال إمكانية الكائن، لذا كان لزاماً حسب التقدير لهيدجر تقويض المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الميتافيزيقا الحديثة من تمثّل، اليقين، الذاتية، العقل، وعليه فالحداثة بدورها أنتجت فكراً ميتافيزيقياً (التقنية، ميتافيزيقا الذات)، ولعلها النتائج والمخلفات التي أفرزتها الرؤية الميتافيزيقية التقليدية من بدايتها إلى العصر الحديث.

إذن فالتقنية في ماهيتها قدر تاريخي، أنطولوجي لحقيقة الوجود من حيث هي كامنة في النسيان، كما تعالت العبارات التي ترفض سمات المعاصرة في خطاها السلبى جراء المد التقني، نجد من بينها عبارة نيتشه "موت الإله" كتعبير عن الوضع الغربي الذي انتهى عنده نمط التفكير الميتافيزيقي كقدر تاريخي، فكانت العدمية من أحد نتائجه فالمنخ الذي عاصره هايدجر كان بادئاً في التعرف على النزعة العدمية التي سمعها نيتشه تطرق باب الحضارة الأوربية، وعلى هذا الأساس اهتم هايدجر بهذه المشكلة ضمن سياق التراث الغربي. إذن العدمية بهذا الشكل حسب التصور الهايدجري الصيغة التي رسمت المشروع الغربي من أفلاطون إلى نيتشه. وفي الأخير تكمن جدية مشروع هيدجر قدرته على قراءة مجمل التجارب الفكرية التي مرت على تاريخ الفلسفة لتجاوز الميتافيزيقا كنفس أخير للعدمية.

إذن يتناول هايدجر ماهية التقنية في إطار السياق التاريخي الذي لا ينفصل عن الميتافيزيقا؛ لأنها تعبير عن وجهها الحديث، حيث أصبح الفيلسوف في نظر هايدجر يجهل مصير الفلسفة ووجهتها في ظل تفشي سلطان العلم، فالعقل الفلسفي يعيش تحت هاجس فقدان معنى الوجود

من جديد لذلك فبات من الضروري التقصي عن أسباب عودة الميتافيزيقا منتحلة صور تنبع من الحداثة، إذن تنبع المجاوزة الفعلية للميتافيزيقا الغربية من الراهن ويقصد به الراهن الميتافيزيقي. وفقا لهذا تتحدد إستراتيجية تعاطي هايدجر مع مخلفات الخطاب الميتافيزيقي المتمثل في التقنية بالتحضير لبدائل أخرى، فالتقنية هي قدر ميتافيزيقي ثاني حيث لا يميز هايدجر حسب هيرماس بين اللحظة التي انتسى فيها الوجود وبين اللحظة نشأ فيها الخطاب التقني " ظهرت التقنية رفيقة درب للميتافيزيقا ومصاحبة لتحولاتها"(هايدجر، ما، 2003، 90) ففلاسفة عصر هايدجر لم ينتهوا إلى عمق هذه العلاقة التي جذرت التقنية في رحم الميتافيزيقا وتقدمت نحو التحقق في عصر الأفلو، كانت الحداثة لحظة ولادة التقنية شبحا ميتافيزيقيا ضاعف من نسيان الوجود لذلك واصل هايدجر إستراتيجية الحفر في التخفي التقني بتقويض الثوابت الميتافيزيقية ومساءلة فلاسفة الحداثة الذين ساهموا من خلال أعمالهم الفلسفية في تعميق هذا اللبس الميتافيزيقي، مع كل من كانط، هيغل وهوسرل، نيتشه حيث تحولت العقلانية الغربية بفعل التقنية إلى سلطة ميتافيزيقية يدعو هايدجر في هذا المقام إلى إدانة العقل التقني الأدوات. وبالتالي هايدجر لا يتوقف عن التأكيد على مخلفات التقنية كتجل سام للحداثة التي تجاوزت قدرة الإنسان في محكومة بانعطاف تاريخي يظهر عصر جديد للكينونة وبالتالي نمط جديد لانسحابها كون نسيان الكينونة تجدر في صلب تاريخ الفكر الغربي.

يفجر هايدجر العمق التقني للحداثة فيبحث عن الأخطار المهددة لمصير الإنسان الغربي التي جذرتها العقلانية الحديثة بإغفالها لسؤال ماهية التقنية وانقطاعها عن الأصول الإغريقية، فأوضحت التقنية في فلسفة الحداثة ممارسة آلية استنفدت روح الخلق والتجديد، إذ غيب العقل الغربي الأدوات المفهومية التي تمكنه من مساءلة سؤال الكينونة. فظل الخطاب التقني على هذه الشاكلة محكوم بمنظومة حسابية تتجه إلى استنفاد مخزون الفلسفة الأنطولوجي. وفقا لهذا يبرر هايدجر ضرورة التفكير مجددا في الحال الفلسفة ومستقبلها كون العقل الغربي في هذه المرحلة قد استنفد محتواه في الأزمنة الحديثة واكتمل خطابه إلى درجة لم يعد له ما يقدمه لإنقاذ المصير الفلسفي، أو يفتح على عصر يسمح بمجاوزة الميتافيزيقا مجاوزة فعلية تستشرف رؤية ما بعد ميتافيزيقية للعالم.

يعتقد هايدجر أن الفلسفة الغربية في حقيبتها الحديثة استنفدت فاعليتها فاكتمل خطاها مع بزوغ ميتافيزيقا التقنية، فكانت التقنية اللحظة التي أطرت لميلاد ميتافيزيقا جديدة مرتبطة بالذات والعلم التقني فبلغ الوجود أقصى لحظات احتجابه المطلق فالمجاورات السابقة التي مرت على تاريخ الفلسفة لم تحسم نهائيا في أمر الميتافيزيقا حتى تلك التي أعلنتها نيتشه رغم أصلاتها لكنها مثلت لحظة الاكتمال وليس النهاية الرسمية الأمر الذي جعلها تظهر من جديد منتحلة صور أخرى. لذلك يحاول هايدجر في مشروعه الفلسفي استدراك المنسي من الشبح الميتافيزيقي الذي ضاعف في كل مناسبة هوة الكينونة بعقد حوار آخر مع الميتافيزيقا خاصة أن هذه الأخيرة عرفت بدءها الثاني مع الحداثة والتقنية

إن النقاش حول مشروع الحداثة لم يتوقف فلسفياً منذ بدأه الأنواري ولا زال إلى غاية الراهن كونه ولد أسئلة جادة حول مصير الفلسفة الغربية، جراء المفارقات التي أنتجها العقل التقني فالكل شارك بإنتاجات فلسفية لأجل الكشف عن ملابسات عصر الأفول فأصبحنا نردد مع هيجل نهاية التاريخ ومع نيتشه العدمية وموت الإله، ليأتي بعدها هيدجر بنسيان الكينونة ونهاية الفلسفة، كل هاته الأحداث الفلسفية ساهمت في نقد ملامح ما بعد الحداثة

وبناء على تحليلنا السابق لمضامين ورقتنا البحثية نستنجح في خاتمة بحثنا أن التأويل أن التأويل العميق الذي أفضت عنه المناقشة الهایدجرية لمشروع الحداثة بالحفر في أنظمة الميتافيزيقا الكلاسيكية وتأثيرها على الخطاب الحدائي الذي لم ينجح في الخروج من نفق الميتافيزيقا بأساليبها الجديدة المتمثلة في معادلة التقنية والعلم رغم كل التنديدات الفلسفية خاصة مع هيدجر التي انتهت بعدم جدية وفاعلية هذا المشروع الذي أصبح أكثر من مناقشة فلسفية لميتافيزيقا التقنية للذات والعقل الأنواري وإنما أضحى يؤسس لحركة فلسفية تحكم التاريخ الفكري والثقافي للغرب تلاشت معه الفلسفة بعدميتها والعلم بتشيئه والتاريخ بنهايته وبهذا تكون الحداثة قد استوفت كل إمكانياتها وتغيرت معها مفاهيم البحث الفلسفي المعاصر من ثقافة إنسانية وعلم ومعرفة ولعل عبارة هيدجر تعبر عن حجم الغموض الذي يعيشه إنسان القرن العشرين.

**

المصادر والمراجع بالعربية:

- روديجر، ب. (د س). الفلسفة الألمانية الحديثة. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- شيخ، م. (2008). نقد الحداثة في فكر هايدجر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- عبد السلام، ن. (2002). هايدجر ضد هيجل التراث والاختلاف. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- فريوي، ع. (2008). مارتن هايدجر نقد العقل الميتافيزيقي قراءة أنطولوجية للتراث الغربي. بيروت: دار الفارابي.
- مارتن، ه. (2003). كتابات أساسية ج1. منبع الأثر الفني. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- مارتن، ه. (2003). كتابات أساسية ج2. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- مهنانة، إ. (2012). الوجود والحداثة هايدجر في مناظرة العقل الحديث. الجزائر: منشورات الاختلاف.

المصادر والمراجع بالفرنسية:

- Boutot, A. (1989). Heidegger: France Editions Delta.
- Haar, m.(1994). La fracture de l'histoire douze essais sur Heidegger. Paris : édition Jérôme Millon Grenoble.
- Martin, h.(1971)Nietzsche I. Paris : Édition Gallimard.
- Martin, h. (1966). L'expérience de la pensée Question III. Paris : Gallimard.
- Martin, h.(1966). l'expérience de la pensée, Question .paris :, Gallimard.
- RUBER,E. (2011). douze question posées à Jean Beaufretra propos de Heidegger. Paris : éditions aubier Montaigne.